دور وسائط الاتصال الحديثة في الحفاظ على اللغة العربية

جواهر بوعذار، منال فلاح

لا يمكن للغة إلا أن تكون مرآة تعكس أحوال الأمة التي تتحدث بها فكلما ارتقت اللغة وقويت كان ذلك علامة صحية على رقي و حيوية أبنائها ، ومما لا شك فيه أن وسائل الإتصال الحديثة يمكن أن تسهم إسهاماً فعالاً فى الحفاظ على اللغة والرقي بلغة الحوار والتعبير ، أو الحط من شأنها ، ولذلک تتناول هذه المقالة دور وسائط الإتصال الحديثة فى الحفاظ على اللغة العربية، فنحن مطالبون اليوم بتطوير وتحسين وسائط الإتصال الحديثة بحيث تستجيب لمتطلبات اللغة العربية، لتكون عوناً في الحفاظ عليها، والإرتقاء بها مما سينعكس إيجابياً على الهوية والشخصية العربية بأكملها ، حيث تلعب هذه الوسائط دوراً هاماً في خلق ثقافة الجمهور العربي و الذوق العام وتطويرها سيعني تطويراً للجميع الذي برمته.

لعبت وسائط الاتصال الحديثة دوراً مخرباً مضعفاً للغة العربية، فقد انتشرت اللهجات العامية وصارت لغة التخاطب في الإعلام وعلى صفحات الانترنت وفي رسائل الجوالات النصية، وليس هذا فحسب فقد انحدرت اللغة المستعملة أيما انحدار، فقد اختلطت العربية العامية بكلمات أجنبية، وراج استخدام الحرف اللاتيني في الكتابة، ولكن جميع ما ذكرناه لا يعني أن هذه الوسائط لم يكن لها دورها الإيجابي أيضاً، فكيف يمكن لوسائط الإتصال الحديثة أن تؤدي دوراً مؤثراً في الحفاظ على اللغة العربية؟ وكيف يمكن أن نوظفها فيما يعود على اللغة العربية و أبنائها بالنفع والفائدة.

الإعلام(القنوات الفضائية):

يمكن للإعلام المرئي والمسموع اليوم أن يلعب دوراً هاماً في تشكيل ثقافة الجماهير، وفي السمو بلغتهم، وطريقتهم في التعبير عن أنفسهم، فـ" الإعلام اليوم –بوسائله المتعددة- لم يعد قوة رابعة، بل هو قوة أولى، ترفده وسائط الاتصال بتقنياتها المتنوعة."(مقالة مستقبل الثقافة العربية في ظل الوسائط الاتصالية الحديثة، عبد الله بن أحمد الفيفي)، كما أن " اللغات إنما تقوى بقوة أهلها حضارياً و إعلامياً، وتضعف وتضمحل بضعف أهلها واضمحلال لسانهم الحضاري في العالم" (المصدر السابق نفسه)، و يحظى التلفاز بأهمية خاصة بين وسائل الإعلام المختلفة لاشتماله على الصوت والصورة والحركة وقدرته على استقطاب شريحة واسعة من المجتمع، و مما لاشك فيه أن القنوات الفضائية التي ترغب باجتذاب أكبر عدد ممكن من المشاهدين تختار اللغة العربية الفصحى ،التي توحد جميع العرب، لتخاطب بها أبناء العربية من المحيط إلى الخليج، وهذا ما نلحظه في القنوات الإخبارية، وهذا يعني أن هناك واجباً قومياً يحتم على القنوات الفضائية أن تختار اللغة الفصحى التي يفهمها جميع العرب بديلاً للهجات المحلية التي قد لا يفهمها أبناء الدول العربية المجاورة، وبذلك يتوجب على المحطات الفضائية ولا سيما الحكومية منها أن تشترط على الراغبين بالعمل بها اتقان اللغة العربية الفصحى كشرط أساسي ليتم قبولهم، ولا بد من وجود مدققين لغويين يشرفون على تقديم اللغة العربية السليمة المشرقة، التي يفهمها حتى أبسط الناس و أقلهم تعليماً، والعجيب أن هناك قنواتٌ

إخباريةٌ أجنبيةٌ تدعم اللغة العربية مثل السي إن إن والـ بي بي سي و القناة الإخبارية الفرنسية والروسية بينما تفضل بعض القنوات العربية بث نشراتها الإخبارية باللغة العامية كما هو الحال في لبنان، فليس من واجب الإعلام أن ينحط بلغتنا الجميلة إلى لغة الخطاب في الشارع، بل واجبه أن يثقف و يرتقي بلغة الخطاب، بل ومن واجب الإعلام اليوم توعية أبناء العروبة على أهمية اللغة العربية ومميزاتها، وضرورة الاحتفاء بها، واتقانها لفظاً وكتابةً، و لابد من إنتاج برامج مختصة بكشف كنوز العربية ودقائقها، والإضاءة على بلاغتها وبيانها كبرنامج لمسات بيانية على قناة الشارقة الفضائية، إذ " تعد وسائل الاتصال أدوات ثقافية .... ولذلك يمكن القول إن المسئولية الملقاة على عاتق وسائل الإعلام الجماهيرية مسئولية هائلة، ذلك أنها لا تقوم بدور توصيل الثقافة فحسب، بل تؤثر بشكل أساسي في انتقاء محتواها أو ابتداعه" (عواطف عبد الرحمن، كتاب قضايا التبعية الإعلامية و الثقافية في العالم الثالث، ص 52-53)وهنا لابد من الإشارة إلى بعض النماذج الرائعة التي استقطبت فيها العربية الفصحى على وسائل الإعلام الناس وحققت نجاحاً منقطع النظير، يثبت قدرة اللغة العربية الفصحى على أن تكون لغة الإعلام كما هي لغة العلم والثقافة، كالقصائد الرائعة التي غناها كبار الفنانين العرب ، كقصائد نزار قباني التي غناها المطرب كاظم الساهر، وماجدة الرومي، في العصر الحديث ، ولابد من الإشارة لنجاح المسلسلات التاريخية التي تتحدث باللغة الفصحى، ونجاح الأعمال التلفزيونية الأجنبية المدبلجة باللغة العربية الفصحى، كما ينبغي الإشادة بالدور الرائع الذي تلعبه بعض قنوات الأطفال التي تتحدث باللغة العربية الفصحى والتي كان لها دور كبير في تعلم أطفال لم يبلغوا بعد الثالثة من أعمارهم للغة العربية الفصحى وتحدثهم بها بطلاقة، كقناة البراعم، وقناة سبيس تون.

لقد استطاع التلفاز الاستحواذ على انتباه الأطفال منذ سنيّهم الأولى، فالحركة مقلدة عندهم، والكلمات تعلق في أذهانهم فتراهم يتقمصون شخصيات أصحابها، ويحاكونهم في إعادة بعض الألفاظ، لا فرق عندهم بين فصيح الكلام ودارجه، ولا فرق بين لهجة وأخرى، فالطفل وهو يقلب القنوات بحثاً عن متعته، لا يفرق بين لغة وأخرى، فكلها تقع عنده في موقع الترحيب، ولطالما سمعنا بعضهم يردد ألفاظاً لا يفهم معانيها، فكيف إذا

إستطعنا أن نروج اللغة العربية الفصحى بشكل سليم و من خلال برنامج المفضلة لدى الأطفال. هكذا نستطيع أن نربى جيل يجيد اللغة العربية بشكل صحيح. (عوض بن حمد القوزى، أثر التلفاز فى التنشئة اللغوية، ، 2006م/ اردن).

ولا بد من الإشارة إلى برنامج شاعر المليون الذي أعاد للشعر العربي مكانته و أرجعه لدائرة الضوء.

أما بالنسبة للقنوات الدينية، فربما كان ضعف اللغة العربية فى هذه القنوات والإذاعات أخف وطأة من القنوات الأخرى لرصانتها و تحسسها للمسؤولية الدينية، لاسيّما لدى من يشعرون بقداسة اللغة وبأنها نوع من التعبد، خصوصا عند تلاوة القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و التفسير المرافق لهما.

إذ تحاول الإذاعات الدينية أن تحافظ على اللغة الفصحى وتبتعد من العامية بقدر الإمكان، مع الأخذ بالحسبان بعض الفروقات والتنوّع في اللجوء إلى العامية. فعلى سبيل المثال " إذاعة القرآن الكريم" الناطقة بإسم دار الفتوى فى لبنان، والعاملة على نشر الإسلام و ثقافته وتعاليمه تبثّ برامجها باللغة العربية الفصحى التامّة.

تشابه المرئي و المسموع لغوياً:

الملاحظ أن نشرات الأخبار و موجزاتها وتقاريرها المصورة على القنوات التلفزيونية و على المحطات الإذاعية تأخذ مادتها من نفس المصدر، و تقدم بلغة فصحى مبسطة، أو بلغة وسط بين لغة المثقفين والعامية، أما فيما يتعلق بقراءة نشرة الأخبار فكثير ما يعمد المذيع إلى تسكين أواخر الكلمات، أو بلفظها بطريقة خاطئة، فنرى الفاعل منصوبا أو مجرورا، ونرى أخطاء فى إستعمال جمع المذكر السالم و الإسم الموصول (التى، والذى) إذ لايزال التبسيط هو الهاجس الذى يسيطر على هذه القنوات مما أدى لخلق لغة فصحى أقرب للعامية.

ولازالت العربية الفصحى مستخدمة فى الأفلام الوثائقية، بينما تسيطر العامية على البرامج الترفيهية المنوعة، أما اللغة العربية التى تترجم بها البرامج و الأفلام الأجنبية و تكتب على الشاشات فتشوبها الأخطاء مثل هاذا، و إليكى و لاكن وأن يأتون.

فدور التلفزيون هام و مؤثرا جدا فى نشر اللغة العربية بشكل صحيح و سليم لأن " الآثار التى يحدثها التلفزيون هى تفاعل بين خصائص البرامج التلفزيونية وخصائص الأشخاص الذين يشاهدونها" (ولبر شرام آخرون (1965): ص 75). وترجع أهمية هذا الجهاز إلى الصفات التى يتميز بها عن غيره من الوسائل فهو ينقل الصوت و الصورة فى آن واحد ما يعطيه جاذبية خاصة وقدرة على الإقناع الشيء الذى لا نجده فى الوسائل الأخرى حيث تجمع الكثير من الدراسات أن الإنسان يتلقى 98% من معرفته عن طريق حاستى السمع و البصر (عبدالله بوجلال (1992): ص 77).

كما أنه يتميز بقدرته على التداعى للأفكار من خلال الصورة وقدرتها على تقليص الأشياء وتحجيمها وهو ما يفسر أثره الكبير فى الحياة الفردية على وجه الخصوص فرغم أن الرسالة التفزية توجه إلى مجموعات كبيرة من الأفراد الإ أن تلقيها يكون فريا ومنفصلا .(أديب خضور (1999):ص 97).

الحاسب الآلي والانترنت:

أصبحت شبكة المعلومات اليوم من أهم عناصر التطور والتقدم العلمي، وتلعب اليوم دوراً هاماً في تثقيف مستخدميها، وتزويدهم بالمعلومات، فقد اختزل الانترنت وقت الحصول على المعلومات، و أصبح بإمكان المواطن العربي متابعة الأخبار، وقراءة مجلته المفضلة على حاسبه الآلي، وصارت الكثير من مصادر الأدب العربي متاحة على الانترنت للباحثين، وصار بإمكان الباحث التجول بين المكتبات الرقمية وتقليب صفحات الكتب، ومطالعة البحوث والمقالات و تحميلها، وكثير من هذه الكتب الرقمية موافقة في ترقيمها للكتاب المطبوع فهي نسخة طبق الأصل عنه، فقد تحول النشر الورقي إلى نشر إلكتروني، كما أن هناك

المئات من المواقع الإلكترونية التي تعنى باللغة العربية و آدابها المختلفة، فضلاً على المنتديات الثقافية والأدبية التي سهلت سبل الاتصال بين المثقفين والمفكرين العرب و منحتهم القدرة على التفاعل و إبداء آرائهم، وصار بإمكان الطلاب الباحثين الإفادة من التقنيات التي يوفرها الانترنت في بحوثهم ودراساتهم وهنا تكمن وظيفة الحكومات العربية في زيادة المحتوى العربي على الشبكة العنكبوتية، وتوعية أبنائها بالطرق المثلى للاستفادة من تقنية المعلومات، وقد أطلقت مملكة البحرين في 2009 الجائزة العربية للمحتوى الإلكتروني بهدف تشجيع الحكومات والمؤسسات والأفراد على تقديم محتوى عربي متميز سواء بالعربية أو بلغة أخرى، كما حظيت اللغة العربية باهتمام ملحوظ منذ عام 2009 وبدأت المواقع العالمية بدعم اللغة العربية مثل موقع فورشارد وموقع الفيسبوك ، وآخر هذه المواقع اليوتيوب(موقع ويكيبديا).

الجوال:

تعد الهواتف الجوالة اليوم أهم وسيلة اتصال، وأصبح بالإمكان اليوم تنزيل الكثير من التطبيقات التي تُمكن مشتركي الهواتف الجوالة من التواصل مع بعضهم بالصوت والصورة والكتابة في كافة أنحاء العالم، وتحولت بعض هذه الجوالات إلى حاسوب شخصي مصغر، يتابع من خلالها الشخص ما يفضله من أخبار وما يهتم به من معلومات، وشاعت اليوم الرسائل النصية التي يتم تبادلها بين المشتركين الذين تشكل فئة الشباب جلّهم، فالشّباب هم الأكثر استخدامًا لوسائل التّقنية الحديثة، وهم الأقدر على توظيفها واستثمار كلّ ما تتيحه هذه التّقنيات. ولكن اللافت في رسائل الجوالات النصية هو شيوع لغة عربية عجيبة منها ماهو مكتوب باللغة العامية، ومنها ماهو مكتوب باللغة العامية وبحرف لاتيني.

والملاحظ على اللّغة المستعملة في الهاتف المحمول أنّها لغة ذات رموز وحروف خاصّة ظهرت في الأجهزة المحمولة من خلال تقنية الرسائل القصيرة (SMS)، وتتميّز هذه اللُّغة بسمات خاصّة، إذ إنّها

أصبحت بديلاً للغة الشّارع والمقاهي والجلسات العامّة، فبرزت بوصفها لغة التّواصل بين مستعمليها والّذين تغلب عليهم فئة الشّباب، وهذه اللُّغة هي:

1- لغة هجينة بين لغات مختلفة (منها العربيّة والإنجليزيّة وظهر بذلك مصطلح (العربيزي) بصور عدّة منها:

أ. كتابة الكلمات بالحروف الإنجليزيّة واستبدال الأرقام بحروف لا يوجد لها نظير في اللّغة الإنجليزيّة مثل keef 7alakو assalamo 3laikomوغيرها .

ب. استخدام رموز خاصّة بدلاً من الحروف العربيّة نحو (الرقم 7) يقابل حرف الحاء، والرقم (7') تقابل حرف الخاء وهكذا.

ج. كتابة الكلمات الإنجليزيّة بحروف عربيّة مثل (مسّج، كانسل) .

2- إنّ اللّغة المستعملة لا تخضع لقواعد اللّغة المتعارف عليها لاعتمادها على الاختصارات.

3- إنّها لغةٌ تكثر فيها المختصرات الخاصّة، فيتمّ التّعبير عن المشاعر بالرّموز.

4- تمتاز هذه اللُّغة بكونها لغة (مشفّرة) لا يفهم معانيها إلاّ من يستعملها. وجدول رقم 1 يبين نماذج من لغة (الشات) ومختصرات وبدائل الحروف.

جدول رقم 1

الكلمة	المختصر
see you soon	c u soon

c o z	because
ho w r u	how are you
4m	for me
2m e	to me
me 2	me too
2da y	today
2m oro	Tomorrow
pic	picture
sm	some body

b	
asl	age/ sex/ location ?

جدول رقم 2

الرّمز بالإنجليزيّة	الحرف العربيّ بصوره المختلفة			
2	أ			ء
a	ا	ـا	ـــ	ا
b	ب	بـ	بـ	ب
t	ت	تـ	تـ	ت
s / th	ث	ثـ	ثـ	ث
g / j	ج	جـ	جـ	ج
7	ح	حـ	حـ	ح
5 / 7' / kh	خ	خـ	خـ	خ

d	د	—	د
z / th	ذ	—	ذ
r	ر	—	ر
z	ز	—	ز
s	س	سـ	سـ	س
sh	ش	شـ	شـ	ش
S / 9	ص	صـ	صـ	ص
D / 9'	ض	ضـ	ضـ	ض
TH / T / 6	ط	طـ	طـ	ط
Z / TH / 6'	ظ	ظـ	ظـ	ظ
3	ع	عـ	ء	ع
gh / 3'	غ	غـ	غـ	غ
f / ph	ف	فـ	فـ	ف

q / 8 / 9 / 2	ق	ـقـ	ـقـ	ق
k	ك	ـكـ	ـكـ	ك
l	ل	ـلـ	ـلـ	ل
m	م	ـمـ	ـمـ	م
n	ن	ـنـ	ـنـ	ن
h	ه	ـهـ	ـهـ	ه
w	و	—		و
I / y	ي	ـيـ	ـيـ	ي

ونلاحظ من خلال استعراض هذه الرموز ما يأتي:

1- استُبدِلت الأرقام بالحروف الّتي لا توجد لها نظائر صوتيّة في اللُّغة الإنجليزيّة.

2- كتبت الكلمات بلفظها العربيّ بحروف إنجليزيّة.

3- طوّعت بعض المفردات الإنجليزيّة إلى قواعد الصّرف العربيّ ونظام اللّغة العربيّة الصّوتيّ، وتجريمعاملتها معاملة الكلمات العربيّة في الاشتقاق والتّصريف ونحت الأفعال والصّفات

والمصادر منها، فيقول سأتلفن بدلاً من سأهتف وفنّشمن (فينش finish الإنكليزية) بدل أنهى، وفيَّش من (فيش fich الفرنسية) بدل سجل، و مسّج وسيّف وغيرها .

وعلى الرغم من أن الكثيرين قد حذروا من خطورة هذه الرسائل على لغتنا العربية إلا أنه لا داع للخوف منها فهي لا تحمل أي فكر أو ثقافة، وكل رسالة نصية تحمل معنىً معيناً، وفكرةً ما سنجدها مكتوبة باللغة العربية الفصحى التي لا يزال أبناء العربية يعتبرونها الوعاء الذي يصبون فيه أفكارهم، فجميع القصص المعبرة، والأقوال المأثورة والمقطوعات الشعرية التي يتم تبادلها في الرسائل النصية مكتوبة بلغة عربية فصحى.

قوانين الإعلام

1_ **غياب الرقابة الذاتية**: فى الحقيقة الرقابة فى العمل الإعلامى قد لا تمارس بشكل جيّد على العاملين فى المجال الإعلامي. فهذا الأمر قد يسبب بعض الإهمال للغة العربية.

2_ **قوانين الإعلام**: إن حضور حقّ المجتمع فى ذهن الإعلامي ، ليس بالقدر المطلوب، إن لم يكن منعدماً أصلاً. إن القوانين فى عالمنا العربي ليست بالدّقة والتوازن الذي يجتمع في آن واحد بين حق الإعلامي في تداول المعلومات، وبين حق المجتمع وأفراده فى حماية أعراضهم و حرياتهم الخاصة و العامة.

فالمجتمع يجب أن يراجع تلك التشريعات بما يعيد التوازن المفقود بين حرية الإعلام و النقد وبين ضرورة حماية حقوق الأفراد و المجتمع والأخذ على يد العابثين.

التأثير الإيجابى للإعلام:

المستوى المعرفى: حيث أن الإعلام أصبح من وسائل التي أجمع علماء التربية على نجاعتها بالنسبة لنقل المعارف للتلميذ فى الوقت الحاضر و يتجلى ذلك فيما يلي:

- **حفظ ونقل المعارف والعلوم و المفاهيم**:

وذلك بإستخدام وسائل الإعلام كأداة لنقل المعارف و تعميمها وجعلها فى متناول التلاميذ يرجع إليها وقت ماشاء وكيفما شاء

- **ترسيخ هذه المعارف و القيم وبنائها**:

فقد أصبح الإعلام يمتلك قدرة على بناء وترسيخ القيم، كقدرته على هدم وإبدال القيم، وذلك لما لهذه الوسائل الحديثة من تأثير على المجتمع المتلقّي، فقد أكدت الدراسات العلمية على دور الإعلام فى تحقيق أهداف تواصليّة كثيرة.

- **النتيجة**

ويمكن لنا القول أن وسائط الاتصال الحديثة يمكن أن تلعب دوراً أساسياً في عودة لغتنا العربية الفصحى للتألق، ولكن هذا الأمر منوط بطريقة استخدام هذه الوسائط، وبضرورة إعادة تقييم أداء وسائل الإعلام، إذ لابد للحكومات العربية أن تتخذ إجراءات جدية فيما يتعلق بإتقان الإعلاميين العرب للغة الفصحى، وتعيين مدققين لغويين في جميع وسائل الإعلام العربية الرسمية، ولابد من العدول عن دبلجة المسلسلات والأفلام الأجنبية باللهجات العامية ودبلجتها باللغة العربية الفصحى، كما يجب على هذه القنوات تغطية الفعاليات الثقافية والمؤتمرات التي تعنى باللغة العربية، كما ينبغي لهذه القنوات أن تأخذ على عاتقها مسؤولية توعية الجيل الشاب بحيوية وضرورة حفاظه على لغته القومية التي تشكل أحد أهم عناصر هويته.

المصادر و المراجع

1_ أيب خضور (1999): الإعلام و الأزمات. دار الأيام للطباعة و النشر و التوزيع. الجزائر.

2_ ولبر شرام وآخرون (1965): التلفزيون وأثره فى حيات أطفالنا. ترجمه زكريا سيد حسن. القاهرة. الدار المصرية للتأليف والترجمة.

3_ عبدالله بوجلال (1992): أثار التلفزيون فى تربية وتثقيف الطفل. المجلة الجزائرية للإتصال. معهد علوم الأعلام والإتصال . جامعه الجزائر. عدد8.

4_ عواطف عبدالرحمن (1984): قضايا التبعية الإعلامية و الثقافية فى العالم الثالث. عالم المعرفة.

5_ عبدالله بن أحمد الفيفى (2010)، مقال مستقبل الثقافة العربية فى ظل الوسائط الإتصالية الحديثة:كتاب العربى.

6_ عوض بن حمد القوزى (2006): مقال أثر التلفاز فى التنشئة اللغوية، اردن.